مؤتمر الحوار وأثره في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم

الذي عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض ٧ - ٨ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ١٠ - ١١ ديسمبر ٢٠١٣م

السجل العلمي

٢

Scanned with CamScanner

المسلمون بين حوار الذّات

وحوار الآخر

د.إدريس لكريني

مدير مجموعة الأبحاث والدراسات الدولية حول إدارة الأزمات

جامعة القاضي عياض بمراكش؛ المغرب

Scanned with CamScanner

مقدمة:

تعززّت الجهود الدولية الرامية إلى بلورة حوار حضاري بنّاء؛ مع تزايد الخطابات المتشددة من هذا الطرف أو ذاك؛ حيث دشّنت الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ نهاية التسعينيات من القرن الماضي نقاشات هامة في هذا الصدد؛ أثمرت عقد لقاءات وازنة وصدور توصيات وإعلانات دولية عديدة تدعم إيجابية التنوع الثقافي كعامل محوري في إغناء تطور وتقدم الإنسانية؛ وتدعو إلى تفعيل الحوار بين مختلف الحضارات..

وقد أعادت أحداث نيويورك وواشنطن بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من توجيه الاتّهام لعناصر إسلامية بشأن الضلوع فيها نظرية "هانتنغتون" المرتبطة بصدام الحضارات بقوة إلى الواجهة؛ حيث تنامت مظاهر الإساءة للمسلمين ورموزهم الدينية بصورة متسارعة ومثيرة في مختلف الدول الغربية..

إن الظروف الراهنة التي يجتازها المجتمع الدولي على مستوى تزايد المخاطر البيئية والأمنية والصحية والاجتماعية.. التي تواجه الإنسانية جمعاء؛ تفرض إقامة حوار حضاري واسع مبني على نقاش علمي ومعرفي واجتماعي واقتصادي.. تنخرط فيه مكونات المجتمع الإنساني من مختلف الثقافات والحضارات؛ في إطار من الثّقة والاعتراف المتبادل والإيمان بالاختلاف؛ بعيدا عن الشعور بالتفوق أو تسخير الحوار لتحقيق المصالح الخاصة والضيقة.

شكّل تحقيق التواصل والحوار والتعارف هدفا محوريا لرسالة النبي محمد- ﷺ-؛ وهو ما عكسته التعاليم الإسلامية السّمحة التي تنبذ العنف والظلم والطغيان؛ وتحثّ على التعايش والمحبة بين مختلف الشعوب والأمم..

وإذا كان الحوار البنّاء يتطلب الوعي بالمصير المشترك وبضرورة التعايش بين مختلف الحضارات؛ والتخلي عن ثقافة التعصب والاحتقار والهيمنة

Scanned with CamScanner

والتجاهل والشعور بالتفوق وتشويه الحقائق؛ والتوقّف عن استحضار الجوانب السيّئة والصور النمطية بشكل انتقائي لمختلف الحضارات وتكريسها من خلال البرامج التعليمية أو عبر الوسائط الإعلامية؛ وبذل الجهد من أجل الفهم المتبادل.. من جهة أولى، فإنه يفرض على المسلمين من جهة ثانية ترسيخ حوار داخلي يسهم في تذييل الخلافات والصراعات الداخلية بما يدعم التواصل مع الطرف الآخر من موقع قوّة وبخطاب يطبعه الانفتاح والانسجام.

وتنبع إشكالية الدراسة من كونها تأتي في مرحلة تنامي فيها الصراع والشقاق بين المسلمين إزاء قضايا مختلفة؛ بما كرّس الفرقة وتفضيل المصالح الخاصة عن مصالح الأمة. الأمر الذي فوّت على المنطقة التي تحتضن إمكانيات بشرية وطبيعية وثقافية علاوة على عوامل اللغة والدين والتاريخ المشترك.. فرصا هائلة نحو التقدم وبناء مستقبل مشترك واعد في زمن تهافت المصالح وبناء التكتلات الكبرى..

وسنحاول في هذه الورقة؛ من خلال منهج تحليلي وتاريخي الوقوف على مكانة الحوار في الإسلام وشروط نجاحه في عالم متغير ومتضارب المصالح؛ قبل الانتقال إلى مقاربة أهمية الحوار الداخلي في خدمة قضايا ومواقف المسلمين، والختم بفرص وتحديات الحوار مع الغرب.

أولا: الحوار البنّاء وشروطه:

يعتبر الصّراع واختلاف الآراء والثقافات أمرا طبيعيا في العلاقات بين الدول والمجتمعات؛ بل داخل المجتمع الواحد نفسه. وتقوم الديمقراطية في أحد جوانبها على تدبير الخلافات بصورة بنّاءة وسليمة؛ بما يسمح بالتعايش والتسامح والقبول بالرأي والرأي الآخر.

ويعتبر الحوار هو المدخل المناسب للتقريب بين وجهات النظر وتلطيف الأجواء؛ وتتحكم في الحوار البنّاء الذي يرتكز أساسا على الاتصال؛

Scanned with CamScanner

مجموعة من الشروط والمقومات؛ فعلاوة عن المهارات الذاتية التي يفترض أن تملكها أطراف الحوار في علاقتها بقوة الشخصية.. والقدرة على تحديد الأهداف المتوخّاة؛ يتطلب الأمر توافر المعطيات والمعلومات الموضوعية وتوظيفها بشكل جيد.

ويجد الحوار أساسه في التشريعات الدينية والقوانين المحلية والدولية؛ التي تدعم التواصل بين الناس؛ وتحفّز على السعي لحلّ مختلف المشاكل والقضايا الشائكة عبر التواصل والنقاش البناء؛ بعيدا عن كل مظاهر التعصب والعنف والإقصاء..

إنه أسلوب حضاري يسمح بتدبير الأزمات والمشاكل والخلافات بسبل راقية؛ بعيدة عن التشنج والصدام والتّعالي؛ ذلك أن اللجوء إلى العنف والصدام في تدبير الخلافات هو في واقع الأمر إلغاء للعقل..

لقد شكلت الدعوة إلى التوحيد[(١)] ونشر المحبة وإلى تحقيق السلام والاستقرار والأمن للإنسانية جمعاء؛ الهدف المحوري للديانات السماوية التي دعت إلى التوحيد؛ وسعت إلى نبذ العنف والظلم والطغيان؛ وحثّت على التعايش والمحبة بين مختلف الشعوب والأمم.

ويحفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تدعو إلى الحوار[(٢)] والتواصل الإيجابيين بين الناس والشعوب؛ على سبيل تحقيق الأهداف النبيلة المرجوّة؛ كما يقدم الكثير من العبر والدروس الراقية التي تحثّ على المرونة والاعتدال في هذا الصدد؛ ومن ذلك ما حملته الآيتان الكريمتان:

---

(١) قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، سورة النحل؛ الآية ٣٦.

(٢) لمزيد من التفاصيل في هذا الشأن؛ يراجع: سعد بن ناصر الشثري؛ كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع؛ المملكة العربية السعودية؛ الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م

▪ ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(١).

▪ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢).

ويهدف الحوار البنّاء إلى التوصّل إلى نتائج وخلاصات تحظى بقدر من التوافق والقبول بين الطرفين أو الأطراف المتحاورة بصدد موضوع أو مشكلة أو قضية معينة؛ بما يجعله وسيلة للتفاهم وتبادل الأفكار وتجاوز الشك والحذر بين الأطراف المعنية به؛ وبلورة حلول ناجعة وفعّالة للمشاكل والقضايا المطروحة.

فهو أسلوب حضاري يكسّر الحواجز النفسية والثقافية والسياسية القائمة بين الناس؛ سواء داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة.. إنه مدخل أساسي لتجاوز سوء الفهم المتبادل والأفكار المسبقة والمواقف العدوانية؛ وتصحيح وتوضيح بعض الأفكار والمعلومات والمعطيات والآراء المتداولة عبر وسائط أو أطراف أخرى؛ والتي تكون معرضة في كثير من الأحيان للتحريف بالزيادة أو النقصان..

وينطوي الحوار على أهمية كبرى بالنظر إلى كونه وسيلة لتوجيه السلوك الإنساني نحو الأفضل، وهو يعتمد في آلياته على التفاوض والنقاش والإقناع واحترام الآخر؛ بدل العنف والترهيب ورفض الرأي الآخر..

إن الحوار البنّاء يتأسس على مجموعة من المقوّمات والشروط التي تدعم سلامته؛ بما يسمح باختصار الوقت والجهد والإمكانيات المادية؛ ويفيد في بلورة نتائج وحلول مفيدة للطرفين أو الأطراف المتحاورة بصورة تسهم في تذليل

---

(١) سورة طه؛ الآيتين ٤٣ و٤٤

(٢) سورة الحجرات؛ الآية ١٣.

العقبات؛ ومن ضمن أهم هذه المقوّمات:

- استيعاب الهدف الأساسي من عملية الحوار؛ واستحضاره بصورة مستمرة طيلة مراحل التّحاور مع الطرف أو الأطراف الأخرى..
- الإعداد الجيّد للحوار من خلال تناول مختلف الجوانب المرتبطة بالقضية أو المشكل موضوع الحوار؛ وجمع معطيات ومعلومات دقيقة تدعم موقف المحاور في مواجهة الخصم أو الخصوم بصورة علمية وموضوعية بعيدة عن التضليل والخداع..
- توظيف الإمكانيات الذاتية في الحوار؛ من صبر وذكاء وتحكم في الأعصاب وسرعة البديهة وثقة في النفس وقوة الشخصية؛ ورزانة واطلاع ثقافي، وتقبّل الأفكار والآراء المختلفة؛ وحسن الاستماع إلى الطرف أو الأطراف الأخرى والاهتمام بهم؛ واعتماد أسلوب لبق ودبلوماسي ومبسّط وموضوعي في الحوار؛ مع توخّي اليقظة وسرعة الرّد؛ والتواضع وتلافي ادّعاء امتلاك الحقائق المطلقة..
- اختيار المكان والزمان المناسبين للحوار؛ بحيث تكون الأجواء مناسبة لبلورة نقاش هادئ ومثمر؛ لا تشوّش عليه أحداث معينة أو تشنّجات قائمة..
- إبداء الاحترام للطّرف المحاور "بفتح الواو" ولأفكاره؛ والتواصل معه بلطف؛ والاتفاق على موضوع النقاش ومَحاوره؛ والتركيز في البداية على نقاط التوافق؛ مع القدرة على الاعتراف بالخطأ.
- الابتعاد منذ البداية عن السلوكيات أو المواقف التي من شأنها خلق حالة من التوتّر بين الطرفين أو الأطراف المتحاورة..؛ وبالتالي إفشال الحوار.
- الحرص على طرح الأفكار بأسلوب مبسط وواضح وهادئ ومتسلسل؛ مع ضرورة تعزيزها بالمعطيات والأرقام العلمية والموضوعية؛ وفتح المجال للطرف الآخر للرّد وطرح الأسئلة وإبداء الملاحظات.

Scanned with CamScanner

كما ينبني الحوار البنّاء في أحد أسسه على الإقناع؛ بما يجعل الطرف الآخر يؤمن بنجاعة وأهمية الأفكار والآراء التي يقدمها الشخص. والإقناع فنّ لا تتأتّى نجاعته إلا من خلال القدرة على التأثير؛ وهذا الأخير يظلّ بدوره متوقفا على مدى اقتناع المحاور -"بكسر الواو" نفسه بأفكاره ومعطياته وآرائه؛ فذلك هو السبيل الأساسي الذي يدعم القدرة في الدفاع عنها ومحاولة إقناع الطرف الآخر بها.. مع ضرورة فهم أهداف وآراء الطرف الآخر حتى يتأتّى الرّد عليها بصورة هادئة وموضوعية..

ولا يمكن للحوار أن يكون مثمرا إذا كانت طرق ومنظومة الاتصال وآلياته متردّية ولا تشتغل بشكل جيد؛ فالاتصال سلوك يحيل إلى الصلة أي تلك العلاقة التي تربط بين شخص وآخر؛ كما أنه يقضي بإيصال رسالة معينة إلى الشخص أو الأشخاص المستهدفين، إنها وسيلة تروم خلق نوع من التعايش المبني على الأخذ والعطاء في أبعاده المعنوية والمادية، كما أنها تنطوي على سلوكيات مستمرة وممنهجة بين الأشخاص؛ تنبني على تبادل الأفكار والمعلومات والمعطيات؛ اعتمادا على آليات وتقنيات اتصال مختلفة ومتباينة بما يسهم في إبلاغ الرسالة أو الرسائل المتوخاة.

إنه عملية اجتماعية تعكس التواصل الإنساني؛ وهو يتأسس أربعة عناصر:

أولها: المرسل؛ وهو الطرف الذي يسعى إلى إبلاغ رسالة محددة إلى الجمهور؛ من خلال وسائل وتقنيات مختلفة.

وثانيها الوسيلة؛ وهي الأسلوب الذي يختاره المرسل لتقديم رسالته تبعا لمردوديته وتناسبه مع طبيعة الرسالة ومع الجمهور المستهدف بها؛ وهي تتنوع بين اتصال مباشر أو استخدام تقنيات تقليدية أو حديثة للاتصال..

وثالثها: المستقبل (المرسل إليه)؛ وهو الشخص أو الأشخاص المستهدفون

Scanned with CamScanner

بمضامين هذه الرسالة؛ والذين يفترض تفاعلهم معها.

ثم هناك الرسالة؛ وهي تحيل إلى المضمون المراد إيصاله إلى الشخص أو الأشخاص المستهدفين؛ وينبغي أن تكون هذه الرسالة واضحة من حيث لغتها وأهدافها ومقدمة في حلّة مقبولة..

وإجمالا يستهدف الاتصال إبلاغ رسالة أو معنى أو مشاعر أو معلومات أو معطيات بأشكال وتقنيات مختلفة إلى أشخاص آخرين على سبيل التأثير والإقناع في آرائهم وسلوكياتهم.

إن عملية الاتصال الناجحة هي تلك العملية التي تكون قادرة على بلورة علاقات إنسانية متينة مبنية على التوافق والثقة؛ من خلال القدرة على نقل المعلومات والمعطيات والأفكار إلى الآخرين والتأثير في اختياراتهم وأفكارهم.

وتتعدد وسائله وتتنوع بين استخدام اللغة السليمة في الإقناع والأساليب الجذابة والنبرات الصوتية المثيرة مع تجنب المبالغة والكذب والتملق؛ وتجنب إطلاق الاتهامات عند تقديم الرسائل المطلوبة.

وقد تصل الرسالة إلى الجهة المعنية والمستقبلة بصورة واضحة لا لبس فيها؛ وقد تصل غامضة ومنقوصة أو مضطربة؛ وقد لا تصل أصلا؛ والأمر يظلّ متوقفا في جانب مهم منه على مدى نجاعة الاتصال.

وهناك مجموعة من العوامل التي تؤثر بالسلب في هذا الشأن؛ نذكر من بينها:

- غموض الرسالة ذاتها؛ ووجود اختلالات في صياغتها أو تقديمها.
- توجيه الرسالة لجهة غير معنية بها.
- وجود ارتباك في فهم الرسالة أو عدم الانتباه إليها من قبل المتلقي؛ أو التعامل معها بأحكام وخلفيات مسبقة.
- وجود خلل في منظومة وآليات الاتصال.

- وجود رسائل متباينة ومتناقضة صادرة عن نفس الشخص أو الجهة المعنية بهذه الرسائل.
- إهمال عامل الوقت؛ وعدم أخذ الوقت الكافي في بعث الرسالة من طرف المرسل أو استيعابها من قبل المرسل إليه.

والجدير بالذكر أن نجاح عملية الاتصال تتوقف أيضا على شخص المرسل ذاته؛ من حيث كفاءته التواصلية وتمسكه بمجموعة من المبادئ والميزات؛ التي من بينها توخي الصدق والموضوعية في تقديم المعطيات والأفكار بعيدا عن أساليب التضخيم والمبالغة والكذب؛ مع ضرورة استحضار البعد الإنساني في طرح الرسالة من حيث تقديمها بأسلوب راق بعيد عن أساليب التهديد أو التحقير أو التكبّر في مواجهة المستهدفين بالرسالة؛ لأن ذلك من شأنه التشويش على الرسالة وخلق نوع من التوتر والحذر بين المرسل "بكسر السّين" والمرسل إليه "بفتح السّين".

ثانيا: الحوار الداخلي وأثره في دعم قضايا ومواقف المسلمين:

تزايدت الدراسات والخطابات التي تتناول موضوع الحوار بين الحضارات المختلفة؛ سواء تعلق الأمر منها بالحوار بين الشرق والغرب أو الحوار بين الشمال والجنوب أو الحوار الأورومتوسطي؛ وفي مقابل ذلك بدا هنالك نوع من الإهمال فيما يتعلق بأهمية الحوار الداخلي في علاقته مع الذات.

والحقيقة أن الحوار مع الذات يطرح نفسه بحدّة؛ لدوره في بلورة حوار أكثر نجاعة وفعالية مع الآخر؛ وتقدّم الآية الكريمة: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، نموذجا راقيا في الحوار والتواصل

---

(1) سورة النحل؛ الآية ١٢٥.

Scanned with CamScanner

المبني على العقل والعلم والمرونة والنقاش البناء.

ينقسم الحوار في المفهوم الإسلامي بحسب أحد الباحثين[١] إلى ثلاثة مستويات تبعا لما يلي:

"الأول: الحوار مع النفس ومحاسبتها.. في شكل حوار داخلي...

الثاني: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامي تبعا لاجتهاداته المختلفة.. حفاظا على وحدة الصف الإسلامي.

الثالث: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معاً في إعمار الكون، وهو حوار يجرى وفق مبدأ المدافعة الذي يمنع الفساد وينمّي عوامل الخير".

تشهد الحقائق التاريخية أن النبيّ المصطفى- ﷺ-؛ بنى دعوته الإسلامية على الحوار والتواصل مع الشعوب والحضارات الأخرى بصورة مبنية على الأخذ والعطاء، حيث "دخل مِدْراس اليهود، ووقف وجهاً لوجه أمام أحبارهم، كما فعل مع قساوسة نجران ووفودهم إليه، وبادر بإرسال الرّسل والدّعاة بالكتب إلى ملوك عصره وأمرائه[٢]"..؛ كما نهج أسلوب الحوار أيضا مع مختلف فئات المجتمع؛ وهو ما تؤكده الأحاديث النبوية الشريفة؛ حيث ظلّ بيته مفتوحا أمام المسلمين؛ كما شكّل المسجد النبوي بالمدينة المنوّرة فضاء للحوار والنقاش الجاد والبناء بصدد مختلف الأمور التي تهمّ المسلمين.

وتؤكد البيانات التاريخية أن النبي- ﷺ- أسّس لممارسات وأعراف تدعم التعايش بين مختلف الأجناس والأديان في البلاد الإسلامية؛ وفقا لضوابط تسمح بالتنوع وحرية الرأي والمعتقد والخصوصية الثقافية.

---

(١) د. علي عبده الألمعي: التربية وتحدي الحوار؛ الموقع الإلكتروني لمنبر التربية؛ على الرابط:
HTTP://WWW.[illegible]/[illegible]-١-٢-١٠.[illegible]

(٢) انظر الرابط: HTTP://WWW.[illegible]٢٦٩٨

يشير أحد الباحثين إلى أن "الحوار مع الذات يسبق الحوار مع الآخر، ومعرفة النفس سابقة على معرفة الغير، والتساهل في معرفة الذات يؤدي إلى تساهل في معرفة الآخر".. ويضيف أن "الحوار مع الذات هو نوع من ترتيب البيت من الداخل، وإعادة حساب الأوراق قبل التحول إلى الحوار مع الخارج وصرف الأوراق"[1].

وفي السياق نفسه يشير الدكتور سعيد الشهابي إلى تلك المفارقة الكبيرة التي تطبع سلوك الأفراد والجماعات خصوصا في مجال الحوار والتفاهم حول القضايا موضع الخلاف أو الاختلاف؛ ذلك أنه "في الوقت الذي تبدو فيه جهة ما "حكومة أم مؤسسة أم فرداً" مستعدة للتحاور مع جهة مماثلة، فقد تكون غير مستعدة للحوار مع جهات أقرب إليها حول قضية أخرى"[2].

إن تعزيز ودعم الحوار الداخلي بين المسلمين وبلورة تصورات وتبادل معطيات ومعلومات في هذا الشأن؛ تفرضها تلك الصورة النمطية المغلوطة التي ترسّخت بفعل الدعاية الإعلامية وتصاعد اليمين المتطرف في عدد من الدول الغربية؛ ناهيك عن دور بعض المستشرقين في هذا الصدد.. بما يفرض تعزيز التنسيق والحوار الداخلي لتصحيح هذه الصورة التي تربط الإسلام بالعنف واضطهاد المرأة..؛ والتي دفعت البعض إلى الإساءة إلى النبي محمد – ﷺ – نفسه؛ والحقيقة أن هذا التوجه نحو تنسيق المواقف وبلورة حوار داخلي منفتح سيسهم حتما في كسب رهان الحوار مع الآخر ويسهم في اختصار الجهد والإمكانيات المختلفة.

---

(١) د. حسن حنفي: الحوار مع الذات قبل الحوار مع الحضارات؛ جريدة الاتحاد؛ الإمارات؛ عدد بتاريخ ٢٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٠

(٢) د. سعيد الشهابي: المسلمون: حوار مع الغير وخلاف مع الذات؛ جريدة القدس العربي؛ لندن؛ على الرابط:

HTTP: //WWW.[illegible]٢٠٠٧%٥[illegible]٠٥%٥[illegible]٠٥-٢٥%٥[illegible].HTM

ويرى البعض أن مواجهة سوء الفهم الكبير؛ ودحض خلفياته ومنطلقاته، يكمن في التعريف بوسطية الإسلام كمنهج له أسسه وأهدافه ومعالمه وضوابطه[1].

ويبدو أن هذه الصّور النمطية التي تشكلت عن الإسلام والمسلمين لدى الغرب؛ مردّها- في جانب مهم وأساسي منها- إلى تعدّد الخطابات الإسلامية التي تقدّم للغرب تبعا للمذاهب والرؤى الفردية؛ في غياب رؤية واحدة وتصوّر منسجم؛ بين من يخلط بين التجارب الإسلامية الإنسانية والدين؛ وبين من يركز على المبادئ الإسلامية السّمحة ويميّزها عن الممارسة الإنسانية التي تحتمل الخطأ والصواب، وبين من يتبنّى رؤية مرنة في الحوار ملؤها التعايش والتواصل؛ وبين من يتبنّى رؤية لا تخلو من تشدّد ومغالاة في هذا الشأن.

إن هذه المعطيات مجتمعة تجعل من بلورة حوار داخلي بنّاء وهادئ بين المسلمين بمختلف أجناسهم وثقافاتهم ومذاهبهم أمرا ملحّا وضروريا؛ بما يدعم ميزان التفاوض والحوار لدى المسلمين في علاقتهم بحضارات أخرى.

ثالثا: فرص وتحديات الحوار مع الغرب:

أرخت ظروف الحرب الباردة بتوتّرها وبهواجسها الأيديولوجية والعسكرية على العلاقات الدولية لعقود عديدة.. بصورة منعت المجتمع الدولي من استيعاب مختلف المخاطر التي كانت تتهدّد الإنسانية جمعاء، ولذلك تمّ اختزال السلم والأمن الدوليين خلال هذه الفترة في تلك الحالة التي يفترض فيها غياب الصراعات والمواجهات ذات الطبيعة العسكرية، بما تعنيه من تركيز على خطر وحيد هو الهاجس العسكري.

ومع انهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط جدار برلين..؛ التفت العالم إلى

(1) الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من أجل تعزيز الحوار والسلم؛ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة؛ إيسيسكو؛ ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢م؛ ص ٤٣.

Scanned with CamScanner

قضايا ومشاكل أخرى غير عسكرية لا تقلّ في خطورتها وأهميتها عن النزاعات العسكرية؛ مما جعل مدلول السلم والأمن الدوليين يبدو في هذه المرحلة من تطوّر العلاقات الدولية أكثر توسعا وشمولا[1] ومنفتحا على تلوث البيئة و"الإرهاب" الدولي والجريمة المنظمة والأمراض الخطيرة العابرة للحدود..

والواضح أن تشابك العلاقات الدولية نتيجة لتزايد الاعتماد المتبادل وتعقّد المصالح بين مختلف أشخاص القانون الدولي؛ جعل من مواجهة هذه المخاطر الآخذة في التطوّر أمرا ملحّا؛ لما تفرضه من تحديات أمام جميع الدول في ظرفية لم تعد فيها الحدود الجغرافية والسياسية حصنا منيعا للاحتماء من تداعياتها.

كما أن تنامي هذه التحديات بصورة تؤثر بالسّلب على السلم والأمن الدوليين؛ وما رافقها من تزايد الشعور بمخاطرها على الإنسانية جمعاء باعتبارها أولويات لا تعني شعبا أو حضارة دون أخرى؛ ساهم بصورة ملحوظة في تعزيز فرص التعاون والتنسيق الدوليين وبذل مجموعة من الجهود والمؤتمرات والمبادرات الجماعية منذ بداية التسعينيات من القرن المنصرم من أجل محاصرتها.

فهذه المخاطر التي تنضاف إلى مراكمة عدد من الدول لترسانة ضخمة وخطيرة من الأسلحة المدمّرة والمتطورة؛ تشكّل تهديدا للإنسانية جمعاء؛ ولما أنجزته مختلف الحضارات من مكتسبات علمية وتقنية وثقافية.. على امتداد التاريخ.

إن الوعي بخطورة هذه التحديات على الإنسانية جمعاء سيعزّز من إمكانية الحوار والتواصل بين مختلف الحضارات لمواجهة تحديات مشتركة

---

(١) للاستزادة؛ يراجع: إدريس لكريني: المخاطر الدولية الجديدة ومستقبل السلم والأمن الدوليين؛ مجلة الدراسات الإستراتيجية؛ مركز البحرين للدراسات والبحوث؛ العدد ١٢ صيف ٢٠٠٨م.

ومصير إنساني واحد؛ ويشكّل عاملا داعما على هذا الطريق؛ غير أن ذلك لن يتأتّى بالشكل المطلوب إلا مع توافر مجموعة من الشروط التي تجعل الحوار ممارسة مألوفة وبناءة ومتوازنة.

يعتبر الصراع أحد سمات المجتمع الإنساني؛ تترجمه الصراعات والحروب والنزاعات التي سادت على امتداد التاريخ البشري؛ حيث عاشت الإنسانية مآسي وحروبا عنيفة خلال القرن المنصرم؛ وأزمات كادت تعصف بالعالم نحو حروب نووية لن يظل معها منهزم أو منتصر؛ نتيجة لظروف الحرب الباردة وما رافقها من صراعات مختلفة وتنافس على مناطق النفوذ؛ وسباق مهول نحو التسلح زاد من خطورته عجز الأمم المتحدة عن حفظ السلم والأمن الدوليين بشكل فعّال.

ورغم مظاهر الصراع والحروب التي ميزت العلاقات الدولية على امتداد التاريخ؛ فقد كانت هناك دائما علاقات من التواصل والتعاون؛ وظلت هنالك أصوات تدعو إلى الحوار والتآلف بين مختلف الشعوب.

إن الأصل في عمق وطبيعة الحضارات هو التحاور والتشابك والتواصل، ولذلك فإن الصراع حتى وإن اتخذ مظهرا ثقافيا غالبا ما تكون وراءه دوافع سياسية واقتصادية أكثر منها ثقافية، وهي الخلفيات التي طالما عكّرت الحوار بين الحضارات[1].

والواقع أن تزايد الوعي بخطورة هذه التحديات على الإنسانية جمعاء؛ وعلى مستقبل كوكب الأرض؛ سيسهم بلا شك في تجاوز مختلف المشاكل التي تشوّش على الحوار المفترض والتواصل بين مختلف الشعوب والحضارات

---

(١) لمزيد من التفاصيل في هذا الشأن؛ يراجع؛ إدريس لكريني: الإسلام والغرب بين نظرية الصدام وواقع الفهم الملتبس؛ مجلة المستقبل العربي؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت؛ عدد ٢٩٣ بتاريخ ٧-٢٠٠٣م.

Scanned with CamScanner

وتوفير الأجواء اللازمة لمواجهة مخاطر وقضايا مشتركة ومصير إنساني واحد.

إن الرغبة في إقامة حوار بنّاء بين مختلف الشعوب والحضارات؛ تربكها أقلّية تحركها عقدة التفوّق والأحادية في التفكير والميل نحو الهيمنة.. وهاجس تحقيق المصالح الضيقة تروّج لمقولات الصدام والصراع؛ كما تكتنفها مجموعة من الصعوبات والإكراهات؛ التي تشوّش على مختلف الجهود المبذولة في هذا الشأن؛ فالقانون الدولي كضابط مفترض للعلاقات الدولية يعكس في الواقع مصالح الغرب ورؤيته؛ فهذه العلاقات أصبح يتحكّم فيها منطق القوة بدل القانون؛ وهناك عدد كبير من الاتفاقيات الدولية التي تجسّد في مضمونها مصالح القوى الكبرى، ولا تخفى الآثار الكارثية التي يخلفها السّعي المتزايد للدول نحو التّسلح التقليدي والنووي؛ لما يخلفه ذلك من حالات الشّك والحذر بين الأمم والدول ويعزّز من فرص الصراع والحروب.

إن المؤسسات الدولية على اختلاف تخصصاتها وأهدافها والتي وجدت بقصد التعاون الدولي وتحقيق الأمن والسلم الدوليين؛ أصبحت في واقع الأمر مجرّد أدوات تخدم مصالح الأقوياء بفعل تغييب البعد الديمقراطي فيها؛ سواء تعلق الأمر منها بالمؤسسات الاقتصادية "البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.." أو السياسية "مجلس الأمن.." أو القانونية "محكمة العدل الدولية؛ والمحكمة الجنائية الدولية..".

ولا تخفى أهمية تفعيل هذه المؤسسات في بلورة نظام دولي عادل يسمح بتحقيق السلم والأمن الدوليين وإرساء سبل الحوار والتواصل بين مختلف الشعوب والحضارات؛ وجدير بمواجهة "الإرهاب" الدولي؛ خاصة وأن تعطيل دور هذه المؤسسات أو انحرافها عن أهدافها المفترضة سيدفع حتما نحو البحث عن سبل لا مشروعة قد تصل إلى درجة العنف بكل مظاهره لتحقيق

Scanned with CamScanner

المطالب[1] مما يزكّي عوامل الصدام والصراع.

وفي هذا الصدد؛ يمكن القول: إن تجريم حركات التحرر الوطني المشروعة وعدم بلورة حلول عادلة ودائمة لنزاعات وقضايا دولية من قبيل القضية الفلسطينية التي صدرت بشأنها العديد من القرارات الدولية؛ واعتماد سبل الكيل بمكيالين عند مقاربة القضايا الدولية المختلفة[2]؛ بالإضافة إلى الإساءة إلى الرّموز الدينية والحضارية للشعوب ومختلف التصريحات والسّلوكيات المستفزة.. تشكل عرقلة لكل المبادرات والجهود الرامية إلى التواصل والحوار والتقارب بين الشعوب والحضارات؛ وعاملا مشجّعا لخطابات التّطرف والمغالاة.

منذ أواخر التسعينيات من القرن الماضي فتحت الجمعية العامة للأمم المتحدة نقاشات بناءة بصدد التواصل والحوار بين الحضارات الإنسانية؛ حيث أكدت مختلف الدول في هذا السياق على إيجابية التنوع الثقافي كعامل محوري في إغناء تطور وتقدم الإنسانية؛ وعلى ضرورة تفعيل الحوار بين مختلف هذه الحضارات؛ وهو ما اعتبرته معظم القوى الدولية والشعوب المحبّة للسلام والتسامح بمثابة ردّ عملي صارم من جانب المجتمع الدولي على كل الخطابات التي تتبنّى الصراع والصدام بين مختلف الحضارات الإنسانية.

وقد كان للدول الإسلامية دور كبير في دعم هذه الخطوات؛ سواء بشكل انفرادي؛ أو من خلال جهود منظمة المؤتمر الإسلامي والإيسيسكو وجامعة الدول العربية..

---

(١) لمزيد من التفاصيل في هذا الخصوص؛ يراجع: إدريس لكريني: المؤسسات القضائية الدولية ومعيقات العدالة، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، مصر، عدد ١٣١ خريف ٢٠٠٧م.

(٢) نستحضر في هذا السياق؛ التواطؤ الأمريكي والغربي بشكل عام مع إسرائيل في احتلالها للأراضي العربية وعدوانها المستمر على الشعب الفلسطيني.

Scanned with CamScanner

وفي الوقت الذي كانت الجهود الدولية تجري فيه على قدم وساق نحو تعزيز الحوار بين الحضارات المحلية والإقليمية والدولية وخلق جو مناسب للحوار بينها، أعادت أحداث نيويورك وواشنطن بتاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من توجيه الاتّهام لعناصر عربية وإسلامية بشأن الضلوع فيها نظرية "هانتنغتون" المرتبطة بصدام الحضارات بقوة إلى الواجهة[١].

(١) انظر في هذا الشأن؛ د. إدريس لكريني: التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠١١؛ المطبعة والوراقة الوطنية؛ المغرب؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

خاتمة

طالما شكلت المحطات القاسية في تاريخ الإنسانية من حروب وصراعات مناسبة لبلورة تصورات وجهود جماعية في سبيل إرساء الأمن وحلّ الخلافات وتجاوز أسبابها.

وفي ظلّ التحديات والمخاطر الراهنة التي تواجه المنطقة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء؛ أضحى تحقيق السلام في مختلف تجلياته وأبعاده؛ مهمّة جماعية لا تهمّ شعبا دون آخر أو دولة دون أخرى.. بما يفرض التواصل والحوار.

ولا يتأتّى الحوار الناجع والبناء إلا ببلورة حوار داخلي يسمح ببلورة رسائل واضحة غير معتمة؛ وبانخراط عدد من فعاليات المجتمع؛ منهم علماء الدين والأكاديميون والمثقفون والإعلاميون ورجال السياسة..

وعلى الصعيد الإنساني؛ يتطلب هذا الحوار أيضا الاقتناع بحتمية التّعايش؛ وفتح القنوات لتواصل مبني على التوازن والمساواة والأخذ والعطاء والعدل والتكافل؛ مع التركيز على العناصر المشتركة بين الحضارات وأوجه الالتقاء في مختلف المجالات؛ بدل التركيز على عوامل الفرقة وعناصر الاختلاف.. بما يهيئ ظروف الحوار ويجعله ندّيا ومتوازنا.. في إطار من القيم والمبادئ الإنسانية الراقية.

ناهيك عن التخلّي عن ثقافة التعصب والاحتقار والهيمنة والتجاهل والشعور بالتفوق وتشويه الحقائق وتأويلها بصور منحرفة؛ مع التوقّف عن استحضار الجوانب السّيئة والصور النمطية بشكل انتقائي لمختلف الحضارات؛ وتكريسها من خلال البرامج التعليمية أو عبر الوسائط الإعلامية..

Scanned with CamScanner

ويتطلب الحوار البنّاء أيضا الإيمان بحق الاختلاف واحترام الرأي الآخر؛ ومراجعة الخطابات السياسية والثقافية المنغلقة والمتشدّدة التي تولّد سوء الظّن بين أبناء الحضارات المختلفة؛ وإبراز نقاط الالتقاء مع الثقافات الأخرى عوض التّركيز على محاور الخلاف، والإيمان بمبدأ المساواة بين كافة الحضارات الإنسانية.

Scanned with CamScanner